مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION

كتـــاب في دقـــائق
2018

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

بقوَّة الاتحاد

صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان: القائد والدولة

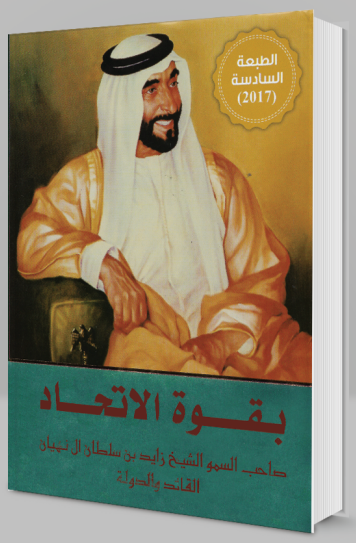

تأليف

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

151

المبادرات والمشاريع

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing

جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE AWARD

2030 LITERACY CHALLENGE

تحدي القراءة العربي

ملتقى العرب للابتكار

في ثوانٍ...

في العدد الثاني من سلسلة «كتاب في دقائق» حول حياة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، نقدِّمُ كتاب: «بقوة الاتحاد: صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، القائد والدولة»، حيث تتجلَّى لنا واقعيَّةُ الشيخ زايد وإبداعه؛ فالواقعيَّةُ والإبداعُ موهبتان ضروريَّتان في القيادة، ولا سيما أنَّ المغفور له الشيخ زايد بن سلطان لم يقبل أيَّ انتقاصٍ من تقاليد الإماراتيين، بل رأى فيها لبنةً للتلاحم المجتمعي؛ فزاوجَ بين الأصالة والمعاصرة، وبين التقليد والحداثة، وكان التسامحُ من أعظم فضائله في كلِّ المواقفِ من دون استثناء.

لقد كان تأسيسُ دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971، نقلةً حاسمةً في حياة المغفور له الشيخ زايد وفي تاريخ الإمارات، حيث ارتقى إلى مستوى التحدِّي وأصبح رئيساً نال محبَّةَ كلِّ المواطنين والوافدين كقائدٍ وإنسان. ولهذا نحرصُ جميعاً كإماراتيين، على التمسُّك بمبادئه في جميع المستويات. واليوم، تشهد دولتنا الفتيَّة تغييراً وإصلاحاً مستمرَّيْن استرشاداً بمبادئه، وتلبية لاحتياجات الجيل الجديد الآنية والمستقبليَّة، حيث تبنَّت الإماراتُ التخطيطَ العلميَّ انطلاقاً نحو الإصلاحات التي يتعيَّن علينا تحقيقها بحلول عام 2030.

وفي الكتاب الثاني «قوانين الحياة الاثنا عشر: العلاج الشافي لفوضى الحياة» الذي يحطِّم الأرقام القياسية في مبيعاته، يؤكِّد المؤلف الكندي «جوردان بيترسن» بأسلوبه السهل الممتنع، أنَّ كلَّ الناس يحتاجون إلى مبادئ تُنظِّمُ حياتهم وتجعلهم أكثر فاعلية. فنحن بحاجة إلى معاييرَ وقيم، على مستوى الفرد والجماعة على حدٍّ سواء، حيث لا بدَّ لنا من تحمُّل المسؤولية كي نبرِّرَ ونُفعِّلَ وجودَنا، ونحتاج إلى تقاليدَ ونظام يدير حياتنا لكي نبقى سائرين على طريقنا المستقيم، لا نَحِيدُ عنه قدر المستطاع. ولكي نعيشَ حياتنا بفاعلية، ونشعر بما يكفي من الاستقرار دون أن نعدمَ الفضولَ وحُبَّ الاستطلاع، يجب أن نكونَ مُجدِّدين ومتلاحمين بالقدر الكافي، حتى نشعرَ بلذَّة وقيمة الحياة.

وفي الكتاب الثالث «الأصول المشفَّرة» يستعرضُ المؤلفان أهمَّ الأصول المشفَّرة في عالم اليوم، بعد أن غيَّرت الإنترنت العالمَ بفضل جهود المطوِّرين الذين لا يكفُّون عن بناء منصَّات الاتصال والتفاعل. فمع صعود تكنولوجيا سلاسل البيانات، استفاد المستثمرون من أكبر فرصة وفَّرَتها الإنترنت. صحيح أنَّ «البتكوين» كانت أوَّل الأصول المُشفَّرة، لكن يوجد اليوم أكثر من 800 أصلٍ مُشفَّرٍ منها: «إيثريوم» و«لايتكوين» و«مونيرو» وغيرها. ومن المهم أن نعرف الكيفيَّة التي نقتحم بها هذا العالم الجديد ونستثمر فيه، لتأمين مستقبلنا المالي، ونبقى كأفرادٍ ومؤسَّساتٍ ومجتمعاتٍ في مقدمة الركب.

جمال بن حويرب
المدير التنفيذي لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

التـراث

في عام 1863 رصد المبعوث البريطاني المقدّم «لويس بيلي» انطباعاته عن زيارته لمنطقة الخليج، ولم يكن المقدّم «بيلي» خيالياً في انطباعاته، غير أنَّ سمات لافتة للنظر في شعوب الخليج العربي استرعت انتباهه فكتب يقول:

«ما إن تلتقي هؤلاء العرب حتى تفهم كيف استطاعوا أن يفتحوا العالم ذات يوم، وقد تركتهم وأنا مقتنع بأنَّهم ما زالوا يملكون الخصائص والسجايا التي يمكن أن تعيد لهم صيتهم مرةً أخرى إذا ما تحقَّقت الظروف الملائمة. لقد تركت هؤلاء العرب وقد انطبع في ذهني أنَّ فضائلهم، وعاداتهم، وأخلاقهم، ونظام حكمهم، قد تشكَّلت نتيجة للظروف الطبيعية والأحداث التي كانت تطرأ من حين إلى آخر. المرء الذي يجد نفسه مجبراً على العيش في الصحراء لا يمكن أن يُشبّه نفسه بآخر ينحدر من سُلالة بدوية أصيلة، تفتَّحت عيناه على الحياة ليجد نفسه في أحضان البادية بكل سخائها وثرائها».

في هذه الظروف البيئية القاسية ينمو إحساسُ الفرد بذاته، ويتزايد تقدير قيم الحرية والاستقلال الذاتي، غير أنَّ السعي من أجل البقاء قد عَوَّدَهم على أن يتعاونوا ويتكاتفوا ويعملوا متحدين في جماعات كلَّما اقتضت المصلحة العامة ذلك، كما أنَّ هؤلاء الرجال الذين يقدّرون قيمة الحرية يُطيعون زعيمَهم الذي ينال احترامهم. الصلات التي جمعتهم وربطتهم معاً كامنة وغير ملموسة، وتقوم روابط الاتحاد على عهود ومواثيق طوعيَّة يحافظ عليها أطرافها ملتزمين بمبدأ الشرف وصدق الكلمة الذي يشكّل مقوّماً أساسياً في كل جانب من جوانب ثقافتهم. لقد تشكَّل مجتمعُهم من تفاعل ثلاثة عناصر منفصلة ولكنَّها متكاملة:

- أوَّلها طبيعة المكان وهي البيئة الطبيعية التي حدَّدت أبعاد عالمهم.

◆ وثانيها البنية السياسية التي تنتظم من خلالها حياتهم الاجتماعية والمتمثّلة في القبيلة والزعامة القبلية.

◆ أمَّا ثالثها فهو البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، والتي تتمثَّل في مبدأ الشرف الذي يلتزمُ بجوهرِه كلُّ البدو، وقد أسهم كلٌّ منهم في تكوين شخصية «عرب الصحراء»، كما أنَّها تشكّل المرتكزات الكامنة في أعماق شخصية الشيخ زايد.

البيئة الطبيعية: الصحراء

أفرزت الحياةُ في بيئة قاسية مثل صحراء شبه الجزيرة العربية ثقافةً فريدة تكيَّفت مع ما اقتضته الضرورة، فكل قبيلة عربية في الصحراء تكيَّفت مع الظروف التي واجهتها، وتنقسم القبائل بشكل عام إلى قسمين رئيسين:

أولاً: القبائل التي عاشت على ما تجود به الصحراء، فهي تُربّي الماشية وتزرع الواحات.

ثانياً: القبائل التي تعيش على البحر، سواء بالاعتماد على صيد الأسماك أو الغوص واستخراج اللؤلؤ أو التجارة البحرية.

أمَّا الذي يميّز قبيلة «بني ياس» في أبوظبي هو أنَّ أهلها يندرجون في الفئتين معاً، فقد كان هذا النمط من الحياة استجابة طبيعية للفرصة التي منحتهم إيَّاها بيئتهم التي كان عليهم استغلالها، أمَّا رؤية هذا النمط من الحياة فترتكز على كونهم «متعدّدي الأنشطة»، حيث أكسبتهم بيئتُهم مجموعةً من الصفات والقدرات الخاصة التي يتميَّزون بها عن سواهم من القبائل العربية.

منظومة القيم في المجتمع القبَلي

يتجسَّد مفهوم الشرف في منظومة الأعراف والتقاليد المتعلّقة بحسن الضيافة والكرم والصدق والعفَّة والإيثار والفروسيَّة والشهامة والشجاعة، وتشكّل هذه الأعراف البِنية الأساسية للمجتمع العربي، وما يهمُّنا في هذا المقام هو مفهوم الشرف الجماعي. لقد تشكَّلت علاقات الفرد الاجتماعية من واقع بيئته الطبيعية، كما أنَّ علاقته بغيره قد تحدَّدت في شكلين: فإمَّا أن يتكاتفا ويتعاونا، وإمَّا أن يختلفا ويتعارضا، وإن كان للجماعة أهميَّة خاصَّة مردُّها إلى حقيقة أنَّ كل فرد وكل عشيرة وكل فخذ من القبيلة إنَّما يمثّل جزءاً من الكل، فإنَّه لا وجود للفردية والعُزلة لدى أي شخص في إطار هذه المنظومة، وقد يغيّر الناس مكانهم من فئة إلى أخرى، إلا أنَّهم لا يستطيعون أن يكونوا بلا موطن ينتمون إليه.

ولعلَّ من أهمّ الصفات التي تُميّز الشيخ زايد فهمه التام للمعاني المتشابكة والتصنيفات المختلفة لمفهوم الشرف، تلك المعاني التي تحكم العلاقات بين القبائل، فأدرك بفطنته السياسية استخدام هذه المبادئ كوسيلة للتقارب والاتحاد بين القبائل، ولعلَّ جزءاً من إدراكه لهذه الحقيقة يعود إلى الأسلوب الناجح لجدّه العظيم الذي حمل اسمه (زايد الكبير)، في جمع أعداء الأمس للقاء وتبادل الرأي في مجلس واحد. لقد استند كلٌّ من الشيخ زايد بن سلطان والشيخ زايد الكبير في ممارساتهما السياسية إلى جوهر التقاليد البدوية، والمتمثّلة في مدّ اليد إلى أعداء الأمس والإصغاء إليهم واستخدام الكلمة بدل السيف في حلّ الخلاف معهم، لأنَّ ذلك هو جوهر الطبيعة البدويَّة لاستيعاب الاختلاف.

شيخ القبيلة رمز الاتحاد

من أهمّ جوانب الإرث الذي تلقَّاه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الظروف الصعبة الناجمة عن قسوة المُناخ والبيئة، وشظف العيش الذي تفرضه حياة الصحراء، والثقافة القائمة على القيم والعادات النابعة من مبدأ الشرف. كان الولاء هو المبدأ الذي تقوم عليه فكرة الشرف القبلي برمَّتها، الذي امتدَّت آثاره متجاوزةً الحِلف الذي تزعَّمه الشيخ زايد، لتقيم جسوراً قويةً بينه وبين القبائل المجاورة. لقد أدركوا أنَّهم أمام قائد يحترم كلمتَه ويهتمُّ بشعبه.

لقد كان يتعامل مع المشكلات والأزمات بمنهج خاص، فهو دائماً عبر مراحل حياته المختلفة يستخلصُ من الأزمة أهمَّ الدروس والعبر، ومن السهل على المتتبّع لمسيرة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، أن يلاحظ قدرته على مواجهة المحن وإدارة الأزمات بهدوء وروية، فمع صعوبة الظروف وشدَّتها تتجلَّى حنكتُه السياسيةُ، وإرادتُه الصلبة للتوصل إلى حل يتجاوز تداعيات الأزمة.

زايد بن سلطان في صباه

مرَّ الشيخ زايد في صباه بتجربتين مختلفتين: الأولى في طفولته المبكّرة بمنزل أبيه في أبوظبي، والثانية في مقرّ الحاكم في قصر الحصن بعد تولّي أخيه الشيخ شخبوط الحكم، في ذلك الوقت المبكّر بدأ زايد يحفظُ القرآنَ الكريم، ولم يكن تجاوز سنوات الطفولة عندما بدأ يحضر مجلس أبيه، ويُصغي لما يدور فيه ويتعلَّم منه، وسرعان ما اكتسب الثقة ليطرح استفساراته على ضيوف المجلس، وأصبح معروفاً بأنَّه أكبر من سنّه.

ومع انتقاله إلى العين عام 1926، وخلال حياته بين أهل أمه من القبيسات، وهم بطن من «بني ياس»، نشأ زايد في بيئة بدوية خالصة، وفي مجلس جدّه حضر الشيخ زايد المداولات حول الهموم القبلية التي عايشها بشكل غير مباشر في أبوظبي، واستمع إلى المناقشات المتعلّقة بقضايا الحرب والعادات والتقاليد والأعراف العربية، وهي القضايا المحورية التي كانت سائدة خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

وفي شبابه الذي أمضاه في العين حرص زايد بن سلطان على معرفة الرجال الذين قاتلوا إلى جوار جدّه زايد الكبير، واستمع إلى آرائهم وحكاياتهم وذكرياتهم، واكتشف من ذلك كلّه أنَّ جدَّه الذي لم يقدَّر له أن يلتقيه قد جمع فضائل حكّام الصحراء من شجاعة وعدالة وأمانة وذكاء وكرم، وأدرك أهميَّة توافر هذه الصفات لإدارة شؤون القبيلة، وأدرك أنَّ رجالها يمكن قيادتهم، ولكنَّهم لا يقبلون أن يُساقوا.

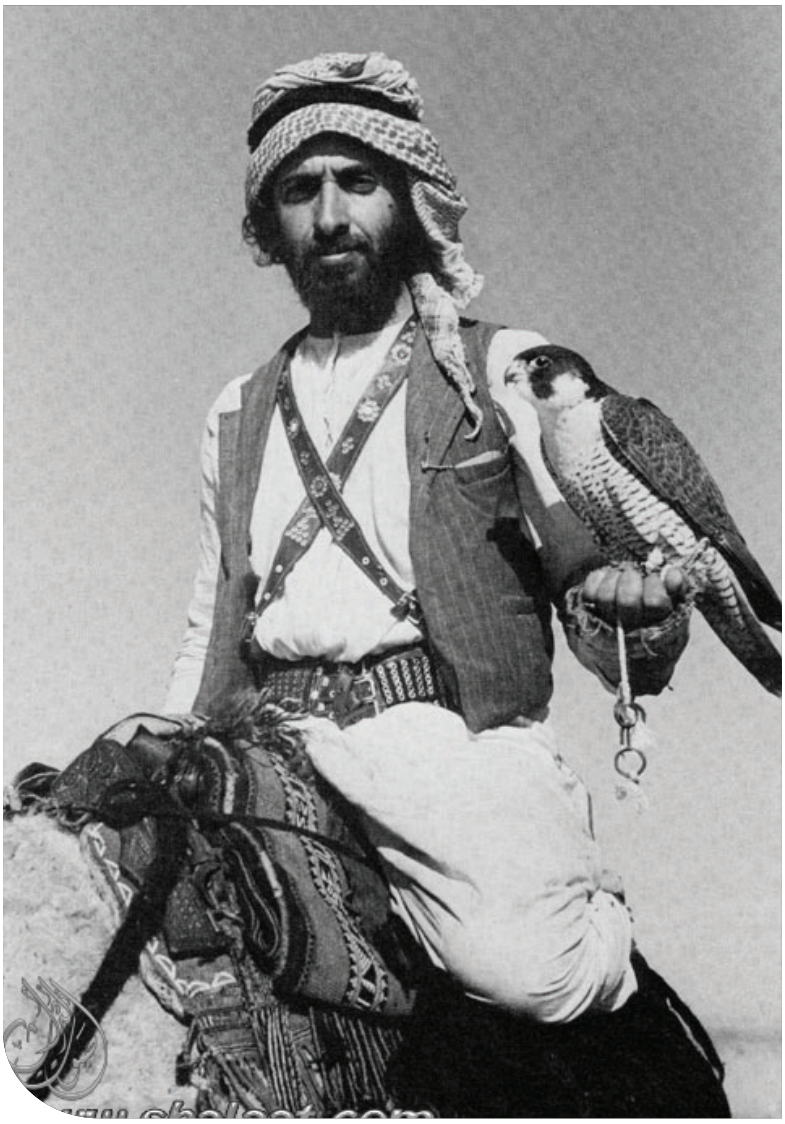

ممثّل الحاكم: واقعيَّة زايد وسياسته

جاء تعيين الشيخ زايد بن سلطان ممثّلاً للحاكم في العين في أعقاب الحرب العالميَّة الثانية استجابةً للظروف السياسيَّة المحليَّة والدوليَّة المتغيّرة، وسرعان ما واجه بعض المشكلات الملحَّة، فقد كانت واحة العين المنطقة الوحيدة من إمارة أبوظبي القابلة للزراعة، وبالتالي كان رخاؤها مرتبطاً بتوافر الماء، ومن هنا كانت أوَّل مهمَّة واجهت الشيخ زايد، هي ضمان حسن إدارة موارد المياه وإعادة انسيابها وتوزيعها للجميع بعدالة، وكانت الإصلاحات في مجال توفير المياه حدثاً مهماً في تاريخ أبوظبي، ولكنَّ الطريقة التي حقَّق بها الشيخ زايد هذا الإنجاز العظيم لا تقلُّ أهميَّة من حيث ما انطوت عليه من دلالات، ولعلَّ أهمَّ ما يستوقفنا هنا هو تقديم المثل والقدوةَ الحسنة، إذ أظهر الشيخ زايد التزامَه الشخصي لإنجاز المشروع عندما شارك بنفسه في أعمال الحفر، وسرعان ما انتشرت أخبارُ مشاركته في أعمال الحفر في أوساط القبائل، وكانوا من فرط إعجابهم بشخصيَّته واقتناعهم بحسن تدبيره يمتثلون دائماً، وبشكل تلقائي، لخططه وتوجيهاته.

لقد تعزَّزت مهارة الشيخ زايد في الإقناع وازداد نفوذه وتعدَّدت الروايات حول قوَّة

شخصيَّته، بل إنَّ صيته وشهرته قد وصلا إلى قبائل الرُّبع الخالي قرب الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، وكانوا يقولون عنه بإعجاب «زايد بدوي، خبير بالإبل، ويمتطيها مثلما يفعل أيُّ واحد منَّا، ويجيد إطلاق النار، ويعرف كيف يقاتل».

وفيما يتعلَّق بمهمَّة إعادة توزيع الماء بصورة عادلة، فقد استغرق الأمرُ من الشيخ زايد نحو عقدين لتحقيق كلّ ما يطمح إليه من أجل شعبه، ونتيجة لذلك فقد أضحت حتَّى القبائل المناوئة «لبني ياس» تكنُّ تقديراً خاصاً للشيخ زايد، ما مكَّنه حينها من زيارة هذه القبائل التي رحَّبت به ترحيباً كبيراً.

وإذا كانت سياسة التنمية والتطوير التي تبنَّاها الشيخ زايد لمصلحة شعبه قد بدأت بالإصلاحات في مجال الريّ، فإنَّها لم تتوقَّف عند ذلك الحد، فمع نهاية الفترة التي قضاها في منصب ممثّل الحاكم في العين كان الشيخُ زايد قد أتاح لأهل العين الحصولَ على الخدمات التعليمية والصحية، كما بنى لهم سوقاً جديدة، وشيَّد طرقاً أفضل، في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه المرافق غير متوافرة في المنطقة بأسرها.

ترسيخ التطور

حقق الشيخ زايد حين تولى مهام ممثل الحاكم في العين نجاحاً كبيراً في إدارة شؤون «العين» بفضل حِسِّه السياسي الصائب ورغبته الدائمة في مواكبة الأحداث والتطورات واستقاء المعلومات من مصادر محلية وعالمية متعددة. وخلال الفترة التي قضاها في العين، اكتشف أن هناك جانباً سياسياً لجميع القرارات وخطط العمل الفنية، حتى في مجال الخدمات والرعاية الاجتماعية، التي كانت إنجازاتُه فيها نابعةً من مشاعر الكرم وحب الناس التي يتَحلَّى بها، فإن البرنامج التنموي الذي اختاره لشعبه كان يُصاغ في إطار أهدافٍ سياسية ودبلوماسية.

لقد تبلورت أفكارُه وخُطَطُه ونضجت خلالَ الفترة التي صقلت تجربتَه عندما كان ممثلاً للحاكم في العين، وهي الفترة التي رفَدَت إنجازاتِه حين أصبحَ حاكماً لأبوظبي، بقدرٍ ملحوظٍ من الثقة والتصميم على بلوغ الهدف المنشود.

فلو استرجعنا الآن ما جرى لبدا واضحاً أن كُلَّ قرارٍ من قراراته كان جزءاً من استراتيجية متكاملة، ومن ثم تبرز ضرورةُ دراسة أعماله بعد أغسطس 1966، في سياق الكيان السياسي الجديد الذي وضع تصوراً له، وعملَ على تحويله إلى واقعٍ ملموس بصورة متدرجة. وإذا كانت كلُّ أفعالِ الشيخ زايد ذات طابع إنساني وأخلاقي، فإنها كانت ذات رؤيةٍ سياسيةٍ واضحةٍ أيضاً.

بناء أبوظبي جديدة

لم تكن المهمَّة التي واجهت الشيخ زايد منذ أول يوم من تولّيه الحكم في السادس من شهر آب/ أغسطس 1966 مهمَّةً يسيرةً بأيّ حال من الأحوال، إذ كان عليه أن يبني مجتمعاً جديداً، ورغم الحماسة والتأييد البالغين اللذين عبَّر عنهما كلُّ أهالي أبوظبي لتولّيه الحكم، فقد كانت فرحة الحاكم بترحيب شعبه ممزوجة بمشاعر القلق من ثقَل المسؤوليَّة الملقاة على عاتقه، فقد كانت أولويَّاتُه هي تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إمارة أبوظبي، وتوثيق الصلات مع الإمارات المجاورة.

منذ اللحظة الأولى بدا حجم العمل المطلوب تنفيذه كبيراً بشكل غير مسبوق، وبلغت الميزانيَّة المقترحة لعام 1967 (47 مليون دينار بحريني)، خُصّصت لإقامة البُنى التحتية والمستشفيات والميناء وإسكان المواطنين والمدارس.

في 20 آذار/ مارس 1968 أعلن الشيخ زايد خطَّةً خمسيةً مثَّلت استراتيجية تنموية تغطّي كل نواحي الحياة، وخُصّصت فيها ميزانية لكل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والصناعية والتجارية والزراعية. كان الهدف هو دفع أبوظبي إلى الأمام، وفقاً لاستراتيجية محدَّدة تحوّل اقتصادها إلى اقتصاد حديث ومتطوّر. كانت الخطَّة الخمسية في جوهرها عملاً سياسياً، فمن واقع إدراكه لحالة عدم الاستقرار المتصاعدة في المنطقة كان الشيخ زايد يُدرِك ضرورة خلق بنية سياسية متماسكة في أبوظبي وترسيخها لكي يكسب ثقة أبناء شعبه ويوفّر الفرص للشباب.

الطريق إلى الاتحاد

كان الشيخ زايد مشغولاً طوالَ عام 1968 بالتوصُّل إلى طرق من شأنها ضمان استقرار أبوظبي بعد انسحاب القوَّات البريطانية، ولم يكن لدى البريطانيين أي تصوُّر في بدايات حكم الشيخ زايد عن كيفيَّة استغلال القوَّة الاقتصادية والسياسية الكامنة لأبوظبي، وكانت تتوقَّع أن يستخدمها للضغط على الإمارات المجاورة ليحقّق مكاسب ذاتية.

ولكنَّ ما حدث كان عكس ذلك تماماً، إذ أدرك الشيخ زايد من البداية أنَّ لكل إمارة مصالح وبرامج عمل خاصة بها، وقد أقام علاقات عمل شخصية راسخة مع كل حكَّام المنطقة قائمة على الاحترام المُتبادَل، مدركاً أنَّ العلاقات الشخصية الجيّدة لا تعني بالضرورة توافقاً تاماً في المواقف بين الإمارات تجاه مختلف القضايا.

في هذا السياق، أضحى تعيين الحدود السياسية لكل إمارة أمراً ذا أهمية اقتصادية بالغة، وتطلب هذا مهارةً فائقةً في التفاوض من أجل تسوية الخلافات القائمة بشأن المصالح الخاصة لكل إمارة، وقد عبَّر الشيخ زايد عن ذلك قائلاً: «إنَّ سياسته تقوم على تعزيز أواصر الصداقة والتعاون بين إمارات الخليج التسع، وإنَّه سيسعى إلى تحقيق ذلك بكل ما في وسعه».

أمَّا العلاقة مع دبي فكانت أكثر القضايا حساسية، فلقد تكوَّنت العلاقة الشخصية التي ربطت الشيخ زايد والشيخ راشد على مدى أعوام طويلة، فترسَّخت لغةُ التفاهم والحوار التي جمعت هذين الزعيمين وأدَّت إلى تسوية بعض الخلافات التي كان يمكن أن تتفاقم، وعندما أصبح الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي كانت هناك قضية حدودية غير محسومة بين الإمارتين.

لقد أدرك الشيخ زايد أنَّ تسوية الخلاف مع دبي ليست في مصلحة أبوظبي فحسب، بل في مصلحة المنطقة برمَّتها، ومن هنا وافق على تسوية تعدُّ في مصلحة دبي، وذلك من خلال تبادل محدود في الأراضي، وقد ثبت أنَّ ذلك هو ما شكَّل القاعدة التي انطلق منها الحاكمان المحنَّكان إلى إقامة اتحاد على نطاق أوسع بين الإمارتيْن في 18 شباط/ فبراير 1968.

الاتحاد
مولد الدولة

جاءت الخطوةُ الحاسمةُ الأولى في طريق الاتحاد نتيجة لاتفاق في الرؤى بين الشيخ زايد حاكم أبوظبي، والشيخ راشد حاكم دبي، ومن العوامل المهمَّة جداً التي أعطت دفعةً لإبرام الاتفاقيَّة المذكورة رغبة القائدين في إعطاء نموذج للإمارات الأخرى عن سبل نجاح الوحدة وفوائدها، ووفقاً لهذه الاتفاقية تتشكَّل دولة فيدرالية واحدة ذات سياسة خارجية ودفاعية وأمنية مشتركة، وتقدّم خدمات طبية وتربوية مشتركة، ولها حقوق مواطنة مشتركة.

وتأكيداً على أنَّ هذه الاتفاقية أكثر من مجرد وثيقة مكتوبة، أبرمت الإمارتان في اليوم نفسه اتفاقية أخرى خاصة بترسيم الحدود البحرية بينهما، وكان لهذه الاتفاقية أهميَّة حاسمة في تطوير الموارد النفطية في دبي، ومثَّلت هذه الاتفاقية تنازلاً طوعياً من قبل أبوظبي لصالح دبي، وإشارةً مهمةً إلى أنَّ التسوية السلميَّة تحلُّ المشكلات طويلة الأمد بين الإمارتيْن.

الطريق نحو الاتحاد

لم يكن الشيخ زايد بعيداً عن المفاوضات في الفترة بين ربيع عام 1968 وربيع عام 1971، بل آثر أن ينتظر فرصةً ملائمةً للتدخُّل الحاسم فيها بعد أن وصلت مفاوضات إنشاء اتحاد يضمُّ الإمارات التسع إلى طريق مسدود في تشرين الأول/ أكتوبر 1969، ثمَّ بُذلت محاولات جديدة في حزيران/ يونيو 1970 لتنشيط الجهود المبذولة للتوصُّل إلى اتفاقيَّة، ولكن ثبت لاحقاً أنَّ المهمَّة مستحيلة، وهنا بدأ الشيخ زايد باتخاذ خطوات حاسمة:

- فقد أعلن أولاً في 1 تموز/ يوليو 1971 بوصفه حاكماً لأبوظبي أنَّ الإصلاح الدستوري في أبوظبي سيتمُّ مستقلاً بذاته عن إطار أي اتحاد يُتَّفَق عليه، وكان المفهوم الضمني الواضح لتلك الخطوة أنَّ أبوظبي تعتزم المُضيَّ قدماً للانتقال إلى مرحلة الدولة، سواء انضمَّت الإمارات الست الأخرى، أو لم تنضم إلى الاتحاد المقترح.
- ثمَّ بادر في 13 تموز/ يوليو 1971 إلى طرح مسألة الاتحاد بشكل مباشر، حيث توجَّه بالسؤال إلى حكَّام الإمارات الست الأخرى عمَّا إذا كانوا راغبين في الاتحاد أم لا، وعندئذ كان من الضروري أن يتخذوا قراراً قاطعاً بشأن خيارين صريحين، وقد أبدى الحكّام الستَّة رغبتهم في الاتحاد.

إعلان مولد دولة الإمارات العربية المتحدة

في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر 1971 رُفِع للمرة الأولى علَمُ الدولة الجديدة في قصر الجميرة في دبي وجاءت ألوانه الأحمر والأخضر والأبيض والأسود، لتُعبّر عن ارتباط تقليدي بالإمارات التي شكَّلت الاتحاد الوليد، وحتى اللحظة الأخيرة كان هناك أمل بأن تنضمَّ إمارة رأس الخيمة لتشكيل اتحاد من سبع إمارات، إلا أنَّ الدولة التي أُعلِن قيامُها كانت تتكوَّن من ستّ إمارات فقط، وبعد انضمام رأس الخيمة في 10 شباط/ فبراير 1972، أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة تضمُّ الإمارات السبع جميعها.

بناء الدولة

كان لدى المغفور له الشيخ زايد اعتباراً من عام 1971 أولويَّتان متلازمتان في سياسته الداخلية:

- **أوَّلهما:** توفير الإرادة السياسية والزخم اللازم لتنمية الدولة على أعلى المستويات.
- **الثانية:** التأكُّد من وضوح فوائد إنشاء دولة الاتحاد أمام أفراد شعبها جميعاً.

وتمَّ دمج الأولويَّتين في سلسلة من البرامج الاتحادية المكثَّفة وبدأت مشروعات التنمية (الوحدات السكنية، وتطوير المرافق العامَّة، والبنية التحتية، والخدمات الاجتماعية من مدارس ومستشفيات، وجامعات، والزراعة والتشجير، وبناء القوات المسلَّحة).

أمَّا بشأن التنمية البشرية وأسباب توفير مقوّمات الحياة فقد **قال المغفور له الشيخ زايد: «هدفنا هو بناء الجيل الجديد الذي يستطيع أن يتحمَّل مسؤوليَّاته ومواصلة مسيرة التقدُّم على أرضه. إنَّ واجبي هو توفير كل مقوّمات الحياة الكريمة لكل مواطن ومواطنة، وأنَّ العقيدة والإيمان والعمل هي أساس النجاح».**

وخلال الفترة 1971-1981 أيقن الشعب أنَّ الشيخ زايد قد نجح في التغلُّب على تحدّيات إقامة الدولة الجديدة، وبحلول الثمانينيَّات اعتبر الشعب أنَّ الوحدة خيار لا رجعة فيه، واستطاع المغفور له الشيخ

زايد، طيب الله ثراه، أن ينقل نموذجَ الوحدة إلى سياق عربي أوسع كما أراد دائماً، ففي شباط/ فبراير 1981 لم يكن الشيخ زايد رئيساً لدولة الإمارات العربية المتحدة فحسب، بل كان أيضاً أوَّل رئيس للدورة الأولى لمجلس التعاون الخليجي.

وقد أدَّى منهجُ الشيخ زايد إلى تحقيق درجة عالية من الثبات والتماسك في السياسة الخارجية، فقد بقيت المبادئ التي أعلنها في كانون الأول/ ديسمبر 1972 بمناسبة الذكرى الأولى لقيام دولة الإمارات أساساً لدبلوماسية الدولة حتى يومنا هذا.

يقول الشيخ زايد، رحمه الله:

«كانت أهداف سياستنا تتحرَّك في أربعة اتجاهات:

- **أولاً: حلُّ الخلافات بين دولة الإمارات العربية المتحدة والدول المجاورة بالطرق الودية والسلمية.**
- **ثانياً: توسيع قاعدة الاتحاد، وذلك بترك الباب مفتوحاً أمام دول المنطقة التي تريد الانضمام إليه.**
- **ثالثاً: دعم القضايا العربية والتنسيق مع الدول الشقيقة في السياسة الخارجية والاقتصادية وفي كل المجالات.**
- **رابعاً: الانفتاح على العالم ومشاركة جميع الدول في المجالات الدولية والالتزام بميثاق الأمم المتحدة».**

بقوَّة الاتحاد

في عام 1953 أصدر الفيلسوف والمؤرّخ السير إيزيا برلين Isaiah Berlin، دراسة حول الزعامة السياسية عنوانها: «القنفذ والثعلب" The Hedgehog and the Fox»، وقد تناول في كتابه دور العظماء وتأثيرهم في مسار التاريخ، وأشار إلى ما اعتبره تمييزاً جوهرياً بين نوعين من البشر:

- أوَّلهما أولئك الذين «يمتلكون فكرة عظيمة»، وعليه فإنَّهم يصوغون مفهومهم للعالم وفكرهم ومشاعرهم على أساس تلك «الفكرة العظيمة»، ونتيجة لذلك تكون رؤاهم شاملة ومترابطة ومتكاملة.
- أمَّا النوع الثاني من البشر فيسعون إلى تحقيق أهداف عديدة قد يناقض بعضُها بعضاً.

واستناداً إلى التجلّيات التي احتواها هذا الكتاب يبدو أنَّ المغفور له الشيخ زايد من القلَّة القليلة التي نجحت في الجمع بين المبادئ الأساسية والسياسة البراجماتية، ويتضح بجلاء أنَّ الشيخ زايد كان «يمتلك الفكرة العظيمة»، وهي أنَّ التفرُّق هو اللعنة التي حلَّت بالشعوب العربية وأدَّت إلى تراجعهم بعد الانتصارات التي حقَّقوها في فجر تاريخهم، فالإمبراطورية العظيمة التي أقاموها وساد حكمُها ذات يوم من قرطبة في الغرب إلى كابول في الشرق قد ضعفت بسبب خلافات وانقسامات لا نهاية لها، وكان الشيخ زايد قد رأى مخاطر الخلافات والفرقة في منطقة الخليج العربي.

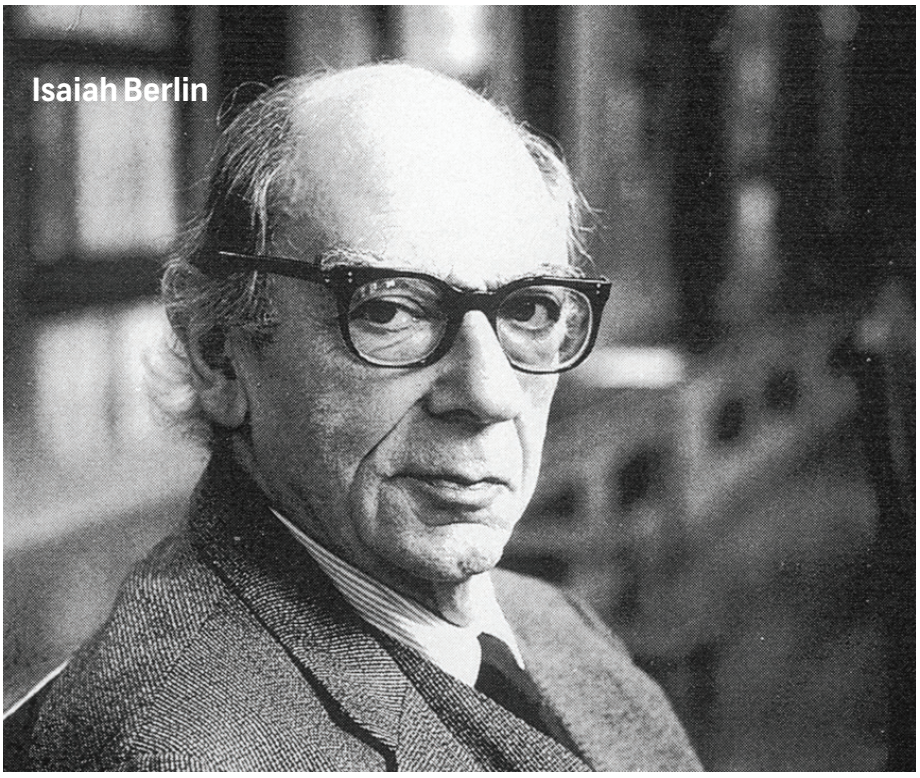

ويمكن تقسيم مسيرة المغفور له الشيخ زايد بمجملها إلى أربع مراحل تاريخية هي:

- **أولها:** فترة التدريب واكتساب الخبرة التي امتدَّت من العشرينيات حتى عام 1966، التي تشكَّلت فيها معاييره وقيمه الإنسانية ومبادئه وحدسه السياسي.
- **ثانيها:** فترة الإنجازات بين عامي 1966 و1971، التي استطاع خلالها أن يضع مبادئه موضع التطبيق العملي ويُسخّرها لمصلحة إمارة أبوظبي، مقدّماً بذلك مثالاً يُحتذى به في العزم والمثابرة والمشاركة الشخصية في عملية التنمية.
- **ثالثها:** تمتدُّ من 1971 إلى 1981، وقد شهدت تغيُّرات جوهرية وتحوُّلات سياسية، إذ استطاع أن يحقّق حلماً ظلَّ يراوده، وهو تحقيق الوحدة بين أبناء الإمارات.
- **الرابعة:** هي المرحلة التي بدأت عام 1981 وما تزال مستمرَّة إلى يومنا هذا، وهي فترة التنمية المتواصلة وترسيخ دعائم الدولة الراسخة التي تبرز كدولة قوية لها مكانتها واحترامها في العالم باعتبارها نموذجاً للتطوُّر الاقتصادي والاجتماعي السلمي، وقد اقترنت رؤية المغفور له الشيخ زايد لقيمة الوحدة بمفهوم التكامل الإقليمي الذي دعا إليه حتى تمَّ تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

المعاصرة والتطوُّر من خلال الشراكة مع الشعب

كانت لدى الشيخ زايد رؤيةٌ واضحةٌ حول خلق شراكة مع الشعب بكل فئاته، وحول العمل الجماعي الذي يضمن النجاح في تحقيق الغايات، ولو تأمَّلنا في مسيرة حياة الشيخ زايد لرأينا أنَّه اتبع ما يمكن اعتباره أهدافاً عربية أصيلة مثل:

- المحافظة على القيم الأسرية والترابط الاجتماعي، ولكن بأساليب حديثة، وقد نجح في التصدّي للعديد من الآثار السلبية الواضحة للنموذج الغربي للتنمية، مستفيداً من فوائد التقدُّم الغربي في المجالين التقني والاقتصادي، وقد تطلَّب تحقيق هذا التوازن الدقيق مهارة إدارية ورؤية بعيدة المدى.
- وكان الشيخ زايد دائماً يرى أنَّ موارد الدولة هي ملك لشعب الإمارات، ولذا فقد وُزّعت الثروةُ بسخاء وحكمة، لتحقيق تنمية ملموسة في حياة المواطنين.
- وشهدت دولة الإمارات تطوُّراً مذهلاً في جميع نواحي الحياة الصناعية والتجارية والسياحية والاجتماعية والاقتصادية وتقدُّماً في التعليم والرعاية الصحية، تضعها على قدم المساواة مع الدول المتقدّمة ذات الدخل المرتفع في العالم.
- وينعكس نجاحُ دولة الإمارات في تطوير مواردها البشرية واستغلالها خير استغلال في التقدُّم العلمي والتقني، حتى أضحت الدولةُ ملتقى لأهم المؤتمرات والتجمُّعات الدولية.
- كما جذبت البنيةُ التحتيةُ والتقنية المتميّزة المستثمرين الأجانب واستضافت أهمَّ الأحداث الرياضية والثقافية العالمية حتى أصبحت مقصداً سياحياً.
- لقد التزم الشيخ زايد بأحكام الإسلام التي حدَّدت وجهته ومنحته الطمأنينة، فلقد عبَّر عن قلقه من الأعباء المترتّبة على المغالاة بالمهور، كما وجَّه بإنشاء صندوق الزواج ليسهل على مواطني الدولة الزواج والعيش في كرامة، وشجَّع الأعراس الجماعية، ووفَّر منزلاً لكل مواطن دون تحميل المواطنين مزيداً من الأعباء المالية.
- كما شجَّع المغفور له الشيخ زايد المرأة على تبوُّء مكانتها التي تستحقُّها في المجتمع، وحرص على المساواة في التعليم وفرص العمل بينها وبين الرجل.
- واستطاعت دولة الإمارات أن تُنتج مياهاً توفّر لسكَّانها أعلى مستوى استهلاك من المياه العذبة للفرد في العالم، وزادت الرقعة الزراعية والمحميات الطبيعية.

الإرث الطيّب

ترك المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، وراءه دولةً مستقرَّةً ومزدهرةً وسبَّاقة إلى المبادرة، يقطنها مواطنون يُعبّرون عن حبّهم لوطنهم وفخرهم به، وتمَّ تطوير قوَّات دفاع مجهَّزة تجهيزاً جيداً، وتحظى بهيبة دولية متزايدة، وقد تحقَّق ذلك كلُّه بفضل نشاطاته الشخصية منذ تأسيس الدولة في عام 1971.

تتسم سيرةُ الشيخ زايد بالتفرُّد بين سِيَر من أسَّسوا دولاً جديدة في القرن العشرين، ولقد أوجز الشيخ زايد جوهر تفكيره السياسي بقوله: «**نؤمن أنَّ الثروة بحدّ ذاتها لا قيمة لها ما لم تُسخَّر لخدمة الشعب وتحقيق ازدهاره، ولا يمكن بناءُ الدول على الأماني، ولا تتحقَّق الآمال بالأحلام. لقد وقف اتحادنا ثابتاً في وجه الأزمات، وازدهر من خلال العمل الجاد والمثابرة والتضحية، وبوضع مصالح الدولة فوق أيَّة مصلحة أخرى، وبهذه الطريقة يمكننا تحقيق أهدافنا وتقوية أساس دولتنا، والحفاظ على استقرارها**».

كان مفهوم الشيخ زايد الأساسي للتنمية يتمثَّل في الحاجة إلى التغيير المنتظم والابتكار المستمر، فقد بدأ كثير من الدول الجديدة بمبادئ عالية، ثمَّ انتهى بها المطاف إلى الجمود وعدم الحركة، وتركت شعوبها تعاني حياةً أسوأ من الحياة التي خلَّفتها القوى الاستعمارية.

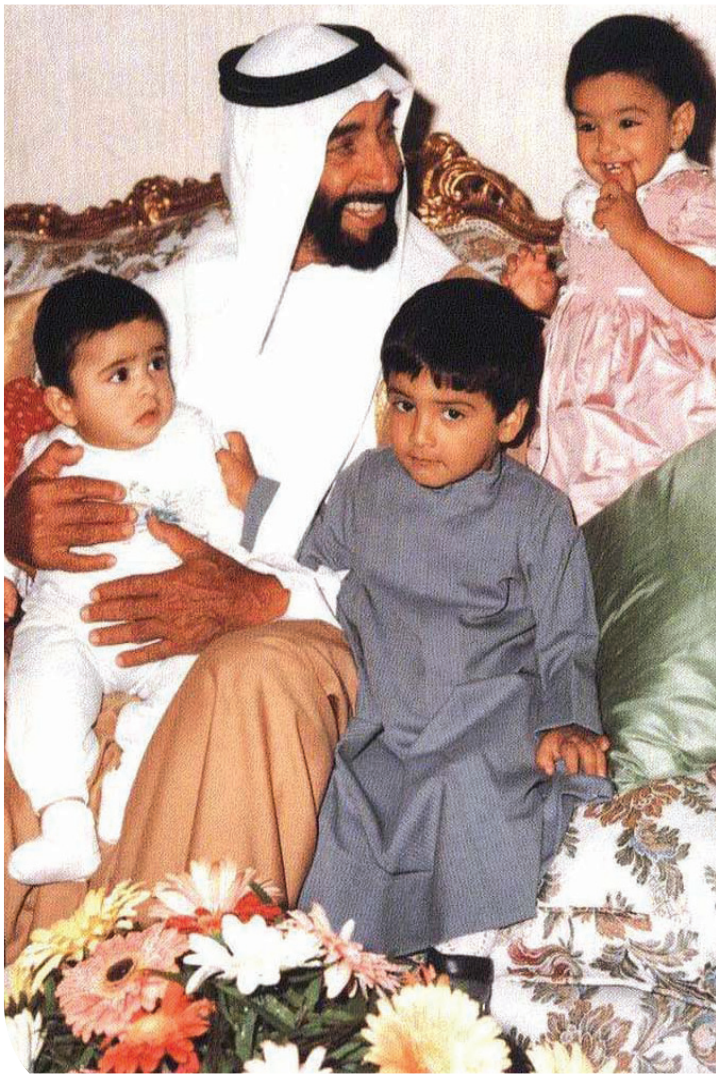

أمَّا في الإمارات فقد وضع الرئيس الموحِّد منظومةً مصمَّمة لتنمو وتتغيَّر بحيث تمتدُّ كفاءتُها وتصل إلى تطوير أفكار جديدة، وبعدما انطلقت الإمارات انطلاقةً كاملةً، سعى إلى وضع منظومات متطوّرة لتحسين مستوى الأداء، ليس في الإمارات فقط، بل امتدَّ تأثير تطوُّر الإمارات إلى الدول العربية وبقيَّة دول العالم.

يعدُّ العمل الخيري أحد الإنجازات المعبّرة عن طموحات الشيخ زايد، من خلال مساندة شعبه والمحتاجين في جميع أنحاء العالم، وقد تخطَّى ذلك حدود حب الإنسانية وتوزيع المال، فقد أراد الشيخ زايد حلَّ المشكلات على نطاق واسع، وهذا ما يسمَّى «العمل الخيري الاستراتيجي»، وفي الواقع فإنَّ ممارسته لأعمال المشاركة الوثيقة التي طوَّرها على مدى عقود في دولة الإمارات، أصبحت الآن هي النموذج المفضَّل للمؤسَّسات الخيرية في جميع أنحاء العالم، فهي تحقّق قيمة عندما تحقّق أنشطتُها منافعَ اجتماعية تتجاوز مجرد القدرة الشرائية للهبات التي تقدّمها وعندما تُخصّص دولةٌ ثريةٌ جهودَها وتتفانى في العمل الخيري الاستراتيجي، فإنَّها تكسب قوَّة إضافية تجعلها متفوّقة حتى على أغنى المؤسَّسات أو الدول، وبالتالي فإنَّ جعل هذا النشاط يتخطَّى حدود الطموح الشخصي أو المؤسَّسي ليكون أحد المبادئ الأساسية لأهداف الدولة.

كان الشيخ زايد يعتمد دائماً على خبرته الشخصية، وكان يدرك

أنَّ خبرته لم تكن كافية، ولهذا لم يكن لديه أي خوف من التغيير والابتكار، وفي مجالات حياته التي لم تكن تحكمها الضرورات السياسية، مثل حماية البيئة، فقد أضنته وهو يسعى إلى تحديد وتحقيق أهداف طويلة الأجل، والعمل بشكل منهجي لتحقيقها.

وعند التعامل مع الأزمات السياسية مثل القرار البريطاني بالانسحاب من المنطقة عام 1968، فقد كان يعي مسارات الأحداث، وكان يكيّف مواقفه مع ما تقتضيه متغيّراتُها، وتوصَّل في النهاية إلى الموقف الذي أراده منذ البداية، وهو: تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة وفق الشروط التي أرادها.

كما كان متحدّثاً رائعاً قادراً على إبهار مستمعيه والاستحواذ على انتباههم وإقناعهم وتقريب وجهة نظره إليهم، ولم يره شعبه أبداً شخصية بعيدة عنهم، بل رأوه قريباً منهم جميعاً، وكان باستطاعتهم طرح مشكلاتهم عليه مباشرةً، وفقاً للتقاليد القبلية الأصيلة.

كما كان واقعياً ومبدعاً، والواقعية والإبداع موهبتان ضروريَّتان في عالم دائم التغيير، ومع ذلك فلم يقبل أي انتقاص من قيمة التقاليد، بل كانت التقاليد بالنسبة إليه لبنةً للتلاحم المجتمعي؛ فزاوج بين الأصالة والمعاصرة وبين التقاليد والحداثة، وكان التسامح من أعظم فضائله حتى في المواقف التي من السهل الاستسلام فيها للعصبية.

الإمارات والمستقبل

كان تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971 نقلة حاسمة في حياة المغفور له الشيخ زايد، حين ارتقى إلى مستوى التحدّي وأصبح رئيساً نال محبَّة المواطنين وإعجاب الوافدين كقائد أولاً وإنسان أولاً وأخيراً، ومن هنا حرصت دولة الإمارات على التمسُّك بمبادئ الشيخ زايد على جميع المستويات، وتشهد الحكومة اليوم تغييراً وإصلاحاً مستمرَّين استرشاداً بمبادئه، وتلبية لاحتياجات الجيل الجديد ومتطلَّباته الآنية والمستقبلية، حيث تبنَّت الإمارات التخطيط العلمي والمنهجي انطلاقاً نحو الإصلاحات التي يتعيَّن تحقيقها بحلول عام 2030، سيراً على نهجه القويم وإرثه العظيم الذي تتطلَّع إليه الدول بإعجاب، نظراً لاستناده إلى قيم السلام والحرية والتسامح والسعادة، وهي العناصر التي تشكّل أسس بناء المجتمع الحديث.

كتب مشابهة:

زايد الشخصية الأخلاقية

علي أبو الريش

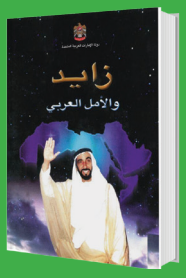

زايد والأمل العربي

عمر عزت هبرة

زايد الخير ومسيرة العطاء

خالد بن محمد مبارك القاسمي

قراءة ممتعة

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على pr@mbrf.ae

تواصلوا معنا على

MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

Qindeel | قنديل
للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, Publishing, and Distribution

مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية
Mohammed Bin Rashid
Al Maktoum Global Initiatives

جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM
KNOWLEDGE AWARD

جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE AWARD

تعلن جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
عن فتح باب الترشح أمام الأفراد والمؤسسات للفوز بالجائزة عبر الموقع الإلكتروني

The Knowledge Award announces opening of nominations to
individuals and organizations through the website

www.knowledgeaward.org

تكريماً للإنجازات العالمية في مجال المعرفة والابتكار

Honoring International Achievements in Knowledge & Innovation

الموعد النهائي لاستلام الطلبات: 25 يونيو 2018

Submission Deadline : 25th June 2018

KnowAward | KnowAward | KnowAward | #KnowledgeAward | #جائزة_المعرفة